التسامح الديني في الإسلام مع غير المسلمين
أهل الكتاب نموذجا

د. أحمد بوسجادة

– جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة . الجزائر.

ملخص:

يتناول هذا البحث التسامح الديني في الإسلام، مع غير المسلمين، حيث يقوم على دعوة الآخرين، بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، بعيدا عن الجبر والإكراه، مصداقا لقوله تعالى: " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " حتى ولو كان المدعو ابنا، بل يجب احترام غير المسلم ومعاملته معاملة حسنة، قولا وفعلا، شفقة ورحمة به، وتحبيبا له في الإسلام، والقرآن حافل بقيم ومثل عالية في دعوة الأنبياء لأقوامهم، في مودة وعطف، وقد جسد نبينا الكريم . صلى الله عليه وسلم . ذلك من خلال دعوته لأهل الكتاب، وغيرهم .

وانطلاقا من القرآن، وسنة الرسول . صلى الله عليه وسلم . أظهر السلف الصالح، تسامحهم مع أهل الكتاب، ولم يبدلوا ولم يغيروا، حتى رأينا جماعة من المسلمين تتمنى أن تحظى بما يحظى به أهل الكتاب، هذا هو دين التسامح الذي حدا بكثير من المسيحيين إلى الإشادة به، والمناداة بتطبيق شريعته

Abstract

This research studies the forgiveness in the Islamic religion with the others [not Muslims]. However Islam is a world invitation ,but it is based on the invitation of the others with prudence, advices and debates away from obligation or forcing even if the invited is young ,since we have to respect not Muslims people and dealing with them in a good and lovely way orally or verbally to inter Islam

Quran is fuelled of high ethics and values in the invitation of nations by the pervious messengers that have used compassion and love. Starting from Quran and the idealism of our model Muhammad we conclude, that the pervious people appears their patience and forgiveness with the others to spread Islam .This is the forgiving religion which the Christians want to applied its laws and instructions in their life.

مقدمة

يكفل الإسلام حقَّ الآخر في حرية العقيدة والدين، والمعاملة الحسنة، لأنه يبدأ بالأصل الواحد للبشر –خلقا وتناسلا ــ ويمر بالتكريم في الخلق، وبالأخوة الإنسانية، معرجا على معاملات وملاطفات ومراحمات، شرعها العليم الخبير ..حتى تنتهي بالمساواة المطلقة بيننا وبين الآخر، أمام الله، وأمام القانون، حيث لا تفضل ولا تمايز إلا بالتقوى والعمل الصالح .. وهذه منزلة – لعمري–لا يحلم بها بشر في أية حضارة أخرى، مهما ادّعت أنها قامت على المحبة، وتشكلت من أجل الأخوة الإنسانية.

فالإنسان أيا كان، خلقه الله سبحانه وتعالى بيديه، ونفخ فيه من روحه، وخلقه من نفس واحدة، وأسجد له الملائكة، وجعله خليفة في الأرض، وعلّمه من علمه ما لم يعلم، وهذا من أسمى آيات التكريم.

فالناس كلهم يشتركون في كونهم خلقوا من نفس واحدة، مربوبين لرب واحد، خلقوا لهدف واحد، ومصير واحد، واستخلاف واحد.. وهذا أدعى إلى أن يعيشوا إخوانا متحابين، وإن اختلفت الألوان والأشكال، والألسنة، وتناء ت بهم الدار.

فليس في ديننا عنصرية، ولا إكراه على الدين، فقد ابتعثنا الله معلمين للدنيا مبشرين ومنذرين، نردد على مسمع الزمان قوله تعالى: " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " [1]

وقوله تعالى: " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "[2]

ولما أراد بعض الأنصار إكراه أبنائهم على الإسلام؛ أنزل الله قوله تعالى: "لا إكراه في الدين" قال ابن كثير: "قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد الجرشي عن زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد (بن جبير) عن ابن عباس قوله: "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" قال: "نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصيني كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلا مسلمًا فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك " [3]

حتى اليهود الذين قالوا عن الله: "إن الله فقير ونحن أغنياء، ويد الله مغلولة، وحاولوا قتل الرسول . صلى الله عليه وسلم . أمرنا الله أن لا نجادلهم إلا بالتي هي أحسن. قال تعالى: " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " [4]. وقال :" وجادلهم بالتي هي أحسن "[5]

إن قدر الإنسان جليل، ومكانته رفيعة في الإسلام، حيا وميتا – ولقد علم الرسول –صلى الله عليه وسلم–البشرية احترام الكتابي حتى وإن كان جنازة محمولة على الأعناق، حيث قام لجنازة يهودي مرت به، فقيل له يا رسول الله إنها جنازة يهودي! فقال :(أليست نفسا) [(1)].

---

[1] البقرة : 156

[2] يونس :99

[3] ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الثقافة للنشر والتوزيع . الجزائر ، ط : 1 ، 1990 ، ص : 333

[4] العنكبوت :46

[5] النحل : 125

بل أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نحسن ونقسط إلى الكتابي مهما اختلفنا معه في العقيدة، قال تعالى : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين " [2]

بل حتى المشرك أمرنا المولى عز وجل أن نحسن معاملته قولا وفعلا ، قال تعالى :" و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه "[3]

وقد كانت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم العملية قمة في التسامح الديني، ففي المدينة المنورة أبرم الرسول–صلى الله عليه وسلم–عهودا مع اليهود والنصارى، وجادلهم بالتي هي أحسن، وخالطهم في معاملاتهم، وصاهرهم، وجاورهم، وقَبِلَ هداياهم ... وعلى نهجه القويم الرحيم سار الأسلاف و الأخلاف.

ذلك ما سوف أوضحه . إن شاء الله . من خلال طرح الإشكالية التالية؛

ماهي مظاهر التسامح الديني في الإسلام مع أهل الكتاب . نظريا وعمليا؟ ويتفرع عن هذا التساؤل التساؤلات الفرعية الآتية:

– ماهي أهم مظاهر التسامح الديني التي تناولها القرآن ؟

– ماهي أهم مظاهر التسامح الديني التي تناولتها السنة النبوية ؟

وقد اقتضت طبيعة الدراسة توظيف المنهج الملائم لهذه الدراسة، وهو المنهج الاستقرائي:

"وهو حصر المعلومات حول الظاهرة محل الدراسة، وفحصها وإعطاء حكم عام، بصددها، وتنتظم هذه المعلومات المتوافرة في قالب معين، ليستنبط منها نتائج صحيحة" [4]

أو هو السير من الخاص إلى العام، وذلك من خلال تعميم النتائج التي توصل إليها الباحث، بعد اختبار بعض الجزئيات.

المبحث الأول: التسامح الديني مع الآخر في القرآن الكريم :

النصوص القرآنية التي تجلي إنسانية الآخر، وتدعو إلى التسامح معه، ومعاملته معاملة حسنة كثيرة، يطول شرحها، وتشق الإحاطة بها جميعا، ولذلك سوف أكتفي بالإشارة إلى بعضها، مستنبطا منها بعض قيم وأحكام التسامح الديني، موجزة على النحو الآتي:

1 . بر المسالمين من غير المسلمين، والإحسان إليهم، سواء كانوا مشركين أم من أهل الكتاب.

قال تعالى:" لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "[5]

رغم أن الآية نزلت في المشركين، إلا أنه من باب أولى أن تطبق على أهل الكتاب.

2. جدال أهل الكتاب لا ينبغي أن يكون إلا بالتي هي أحسن، فإن وجدت طرق حسنة وطرق أحسن وجب الأخذ بالأحسن، قال تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "[1]

---

[1] البخاري ،كتاب الجنائز، باب من قام للجنازة : 1313

[2] الممتحنة : 8

[3] التوبة : 6

[4] عبد الوهاب إبراهيم ، البحث العلمي صياغة جديدة ، دار الشروق . جدة . ط4 ، 1421 ، ص : 64

[5] الممتحنة :8

وقال: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "[2] .وقد جسد رسول الله ﷺ هذا الأسلوب من خلال جداله لليهود والنصارى والوفود عموما، وخاصة وفد نجران، حيث ألزمهم الحجة، تم حذف الحديث عن المباهلة.

3. تسميتهم "أهل الكتاب " يعني أنهم أصحاب كتاب سماوي، وفي هذا تشريف، وإقرار واعتراف بدينهم، وتمهيد لطيف لدعوتهم، قال تعالى:" قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " [3]

4 . دعوتهم بلين، على سبيل التذكير، ومنع إكراههم على الإسلام، رغم صحة الإسلام، وثبوت تحريف التوراة والإنجيل ، قال تعالى : " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " [4] . وقال: " أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " [(5)] . وقال:" فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ "[(6)] . (علامات الوقف في كل المقال تحتاج إلى إعادة نظر، فاستعمال النقطة يحيلنا ويعيدنا إلى اول السطر، أما إذا أكملت الحديث او ذكرت آية فلن تحتاج غير فاصلة)

5.أهل الكتاب ليسوا سواء ، فمنهم طائفة تؤمن بالله واليوم الآخر، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتتلوا آيات الله، وتسجد، وتسارع في الخيرات ، فهي من الصالحين ، قال تعالى : " لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ "[(7)] وهذا أدعى إلى التقرب من هذه الفئة، والحرص على هدايتها .

6 . أقرب الناس مودة للمسلمين ، الذين قالوا إنا نصارى، فآمنوا بما أنزل إليهم صدقا وحقا، وبما أنزل إلى الرسول ﷺ ، قال تعالى : " ... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ "[(8)]

7 . الدعوة إلى العفو والصفح عن أهل الكتاب، رغم ما صدر عنهم في حق الإسلام والمسلمين. قال تعالى : "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[9]

8 . إباحة أكل ذبائحهم، وتزوج نسائهم . قالى تعالى : "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ "[(10)] ، يقول القرضاوي: (ومعنى زواج

---

[1] النحل : 125

[2] العنكبوت :46

[3] آل عمران : 64

[4] البقرة : 256

[5] يونس:99

[6] الغاشية :21

[7] آل عمران: 114.113

[8] المائدة : 83، 82

[9] البقرة :109

[10] المائدة :5

المسلم من كتابية أن يكون أصهاره وأجداد أولاده وجداتهم، وأخوالهم وأولاد أخوالهم وخالاتهم من أهل الكتاب، وهؤلاء لهم حقوق صلة الرحم وذوي القربى التي يفرضها الإسلام ولا نجد في السماحة مع المخالف في الدين أرحب ولا أعلى من هذا الأفق الذي وجدناه في شريعة الإسلام) [1]

8 . إجارة المشرك، وعرض الدعوة عليه، والحرص على أمنه وسلامته، قال تعالى : "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ " [2]

وفي القرآن سورة باسم (مريم) البتول أم المسيح عليه السلام، وسورة باسم معجزة المسيح عليه السلام. وهي سورة (المائدة) ،كما أن في القرآن سورة باسم عائلة المسيح، وهي سورة (آل عمران) * علما أن كلمة آل تطلق على النسب الكريم الطاهر . غالبا [3]. وسورة باسم (يوسف) ، و (يونس) ، و (إبراهيم) ، و (لقمان) ، و(الأنبياء)، وهي سورة تتحدث عن أنبياء بني إسرائيل : (إبراهيم،إسماعيل، موسى، هارون، داود وسليمان، ولوط، وأيوب، ويونس، وذي الكفل، وزكريا)

لقد حفل القرآن الكريم بذكر أنبياء الله عليهم السلام، وساق إلينا قصصهم المليئة بالعبر والمواعظ، مثنيا على جهادهم وصبرهم في سبيل تبليغ دعوة الحق، وغالبية هؤلاء من بني إسرائيل، غير أن اللافت للانتباه حقا، هو عدد المرات التي يتكرر فيها ذكر أنبياء الله في القرآن، إذ يرد اسم الرسول ﷺ خمس مرات فقط، بينما يرد ذكر موسى عليه السلام 124مرة، وإبراهيم 56 مرة، وعيسى 24 مرة، ونوح 23 مرة، ويوسف 20 مرة، ولوط 17 مرة، وهارون 12 مرة، وداوود 14 مرة، وسليمان 9 مرات .... ويأتي رسول الله ﷺ بعد 17 نبيا ورسولا، من حيث تكرر اسمه.

إن أهم ملاحظة تسجل هنا هي تمحيض اليقين أن القرآن من عند الله، وليس من عند الرسول ﷺ ولا من عند أتباعه . إذ لوكان من عنده، لأثنى على نفسه ومجدها مرات ومرات، قبل أن يمجد أنبياء قوم ناصبوه ودعوته العداء، وكادوا له، وظاهروا أعداءه، وحرضوهم على قتله، بل حاولوا قتله مرتين [4]، ولمجد قومه وعشيرته، قبل أن يمجد أقواما أخرى من القرون الغابرة . (الاقوال التي استلت من الكتب وكانت لأصحابها وجب ان تكون بين قوسين، فهذا القول الاخير لا نعلم من أين يبدأ وإلى أين ينتهي) هذا القول للباحث وليس لأحد ولم يسبق أن أشار إليه أحد

أما الملاحظة الثانية؛ فتتمثل في الحقيقة القرآنية الخالدة " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "[5] فلولم يتكفل الله بحفظ القرآن، وتركه للتحريف، لحذفت منه كثير من أسماء أنبياء اليهود والنصارى وغيرهم، خاصة بعد الجرائم الوحشية التي ارتكبها الصليبيون في بيت المقدس، ومحاكم التفتيش في الأندلس، والاستعمار الحديث في أرجاء العالم الإسلامي، واليهود في دير ياسين، وكفر قاسم، وحيفا، والجليل، وغزة .هذه آراء الباحث ولم يأخذها عن أحد

---

[1] يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية والحل الإسلامي، مؤسسة الرسالة ، ط1 : 2000، ص:27

[2] التوبة :6

[3] شوقي أبو خليل، تسامح الإسلام وتعصب خصومة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، ليبيا، ط:2، 1992 ص :34

[4] محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دار الجيل، بيروت، ط: 2، 1987، ص : 175

[5] الحجر : 9

أما الملاحظة الثالثة؛ فتتمثل في عالمية الإسلام وإنسانيته وتسامحه مع أهل الكتاب خاصة، ويتجلى ذلك من خلال ذلك الكم الهائل من فصول قصص المسيح وأنبياء بني إسرائيل. عليهم السلام، التي تتردد وتتكرر في موارد الثناء والمدح، مثل : " يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا "[1]

ومثل قوله تعالى :" قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ "[2]

ومثل قوله تعالى : "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" [3]

ومثل قوله تعالى :" وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ"[4].

هل الدين الذي يدعو إلى الإرهاب والتطرف . على حد زعمهم . يمكن أن يثني هذا الثناء الحسن على أنبياء أقوام آخرين، وتتكرر أسماؤهم. أكثر مما يتكرر اسم نبيه بأضعاف مضاعفة؟

هل الملايين من المسلمين الذين يتلون القرآن يوميا، وتتردد على ألسنتهم في صلاتهم أسماء لأنبياء أقوام مختلفة، إرهابيون؟ أين المنطق الذي صدعتم به رؤوس الخلق، بوجوب الاحتكام إلى قواعده؟

علما أن إنكار وجود نبي من هذا العدد الكبير يعتبر عندنا. نحن المسلمين. كفرا وردة، قال تعالى : " وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "[5]

أبعد كل هذا يأتي من ينعت الإسلام والمسلمين بالإرهاب والتطرف؟ ويصف نبي الإسلام بالإرهابي؟

إن مريم البتول وابنها المسيح اللذين لم يرد اسمهما في التوراة ولو مرة واحدة، لهما في كتاب الله سورة كاملة من القرآن باسم (مريم) تتناول قصة ميلاد المسيح ومعجزاته بأسلوب أخاذ، أذرف كثيرا من دموع المسيحيين، إن مئات الآلاف من بنات المسلمين تسمين بهذا الاسم الحبيب (مريم)إن هذا الاسم الحبيب كثيرا ما يقرن بعبارة . عليها السلام . وكذا الأمر بالنسبة إلى المسيح. عليه السلام. وعرج بالحديث عن الملايين من أبناء المسلمين الذين تسموا على مر الدهور بأسماء أنبياء بني إسرائيل، من أمثال : إبراهيم، إسماعيل، موسى، يعقوب، يوسف، أيوب، إلياس، داوود، سليمان، يونس ...

[1] مريم : 12. 15

[2] مريم :30. 3

[3] النحل : 120. 122

[4] الأنعام : 85. 86

[5] البقرة : 285

وعليه يمكننا القول: بأننا نحب ونعظم أنبياء بني إسرائيل أكثر مما يعظمهم أهل ملتهم، بل ننزههم عن كل مالا يليق بهم، فيما ورد في كتبهم، وأسفارهم، ففيها من الأوصاف لأنبياء الله ما يستنكف عنه حتى اللصوص وقطاع الطرق[1]

إن هذه النصوص القطعية الناطقة بالحق، تدل دلالة صريحة على منهج الإسلام في دعوة الآخرين والتعامل معهم. إنها حرية العقيدة والدين.

وسوف أكتفي هنا بالإشارة إلى قصة لم تعرف البشرية لها نظيرا أبدا إلا في ظل المنهج الرباني. إنها قصة تبين مبلغ ما شرعه الإسلام في معاملة أهل الكتاب...

رجل من الأنصار يدعى (طعمة بن أبيرق) سرق درعا من أنصاري يدعى (رفاعة) وأودعها عند يهودي يدعى (زيد بن السمين) وبعد البحث عنها وجدت الدرع في بيت اليهودي. والتقت القرائن المادية على أن اليهودي هو الذي سرق الدرع، فأنكر التهمة المنسوبة إليه، وأخبر الناس أنه أخذها من (طعمة) على سبيل الوديعة، وأقسم (طعمة)إنه لم يأخذ الدرع ولم يستودعها أحدا ، وانطلق وفد من عشيرة طعمة إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: يا نبي الله: إن صاحبنا بريء وإن الذي سرق الدرع هو فلان، وقد أحطنا بذلك علما، فأعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه ...ولما عرف الرسول ﷺ أن الدرع وجدت في بيت اليهودي ، قام فبرأ (ابن أبيرق) وعذره على رؤوس الناس[2] ، فم الذي حدث بعد ذلك ؟ لقد تحركت محكمة العدل الإلهية لتنصف اليهودي[3].ولتوجه عتابا وتقريعا غليظين للسارق وعشيرته التي جادلت عنه، وينزل الله في ذلك قرآنا يتلى إلى يوم القيامة .

وتبدأ الآيات بخطاب الله للنبي ﷺ:" إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله "[4].

والحق أحق أن يتبع والناس أمامه سواء يهودا كانوا أم نصارى أم مسلمين ، يقول محمد الغزالي معلقا على الآيات: فإذا خان رجل – يدعي الإسلام–فلن يكون أهلا لمخاصمة الرسول ﷺ عنه ولو كان ضد يهودي أو نصراني أو مجوسي. ومن ثم يقول الله له: " ولاتكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما.[5]

---

[1] ينظر، عبدالوهاب عبد السلام طويلة ، توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي، تقديم وتهذيب وترتب وتعليق عبدالوهاب عبد السلام طويلة ، دار القلم، دمشق، ط: 1، 2004

[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤت معرفة الغيب إلا بإذن الله" قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك"، الأنعام:50

[3] نعم من اليهود الذين لا يعرفون حقا ولا عدلا ولا نصفة مع المسلمين

[4] النساء: 105

[5] النساء: 105–10

ثم يتوجه الخطاب إلى عشيرة السارق بالعتب فيقول:" يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا، ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أمن يكون عليهم وكيلا " [1]

ثم يتوجه الخطاب إلى السارق ليرجع ويتوب من ضلاله" ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما" [2]

"ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا" [3]

كل هذا التقريع بهذه العبارات الشديدة: (الخائنين، خوان، أثيم، يبيتون، يعمل سوءا، يكسب إثما، يكسب خطيئة أو إثما، يرم به بريئا، فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا.)

من أجل تبرئة ذمة يهودي، حامت حوله شبهة السرقة–ادعاء–

يقول محمد الغزالي: أرأيت إلى هذه النذر المتتابعة والنصائح الحكيمة؟ أرأيت إلى هذه التعاليم الواضحة والخطوط المستقيمة؟ أرأيت آيات القرآن وأسلوبها العزيز في خطاب الرسول – ﷺ– ومن حوله وإنصافها للأبرياء أيا كانوا؟ لم هذا كله؟ لإنقاذ يهودي كادت القرائن تدينه[4].

المبحث الثاني: التسامح الديني مع أهل الكتاب في السنة النبوية:

إن معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب خاصة، قد بلغت من التسامح و الوداد ما لا يبقي لجاحد أو مبطل سندا لتخرصاته.

ففي سنته القولية كثير من الأحاديث الحاثة على المعاملة بالحسنى لأهل الكتاب خاصة، ومن هذه الأحاديث:

قوله ﷺ : (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما) [5]

وقوله : (من قتل معاهدا في عهده لم يرح رائحة الجنة ا) [6]

وقوله . توصية . بأهل مصر : (إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما) أو قال: (ذمة وصهرا) [7]

روى الشيخان: عن أسماء بنت أبي بكر قالت: "قدمت أمي وهي مشركة. في عهد قريش إذ عاهدوا[8]، فأتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأ صلها ؟ قال : نعم صلي أمك) "[9].

---

[1] النساء : 108 ـ 109!

[2] النساء : 110

[3] النساء : 112

[4] محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1، 2004، ص: 62

[5] رواه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (3011)

[6] صحيح ابن حبان، كتاب إخباره –صلى الله عليه وسلم– عن مناقب الصحابة (7491)

[7] صحيح مسلم، باب وصية النبي بأهل مصر ، رقم: (2543) الرحم :كون هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم ، والصهر : كون مارية القبطية منهم

[8] تعني في فترة صلح الحديبية

[9] البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين ،2477

أما (وثيقة المدينة) المكتوبة، فتعد أول دستور مكتوب ينظم العلاقة بين أهل المدينة على اختلاف عقائدهم [1]، وخاصة العلاقة بين بين المسلمين واليهود، إذ اعتبرهم الرسول ﷺ إلى جانب المسلمين أمة واحدة، وكفل لهم حقوقا دينية وعملية ، وقام نوع من اتحاد كونفدرالي بين القبائل العربية المسلمة والقبائل اليهودية .

أما السنة العملية ؛ فهي تعج بالمعاملة الطيبة الكريمة لأهل الكتاب، تبدأ قبل البعثة في شكل احتكاكات ودية متعاطفة، وتستمر بعد البعثة لتشمل شتى مجالات الحياة، ففي أول احتكاك مع النصارى كان عن طريق الراهب النصراني "بحيرا الراهب" الذي قرأ علامات النبوة في شخص محمد ﷺ فأمر عمه أبا طالب بأن يعود به سريعا إلى مكة خوفا عليه من اليهود، وبعيد بعثته ﷺ مباشرة يشاء الله أن يكون ورقة بن نوفل النصراني من أوّل المصدقين والمؤيدين. حيث قال له: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه .. ثم قبل رأسه .

وفي هجرته إلى الطائف يلتقي بعداس النصراني، فيسمع منه "باسم الله "قبل الأكل، ويعلمه الرسول ﷺ بنبوة يونس بن متى، فيكب عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه .

وحينما اشتد الإيذاء بأصحاب الرسول أمرهم بالخروج إلى الحبشة قائلا: إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق [2]. بل كان له شرف الولاية في تزويج أم حبيبة . رضي الله عنها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم– رغم وجود الجماعة الإسلامية بقيادة جعفر بن أبي طالب .

وفي هجرته إلى مكة استعان بالهادي الخريت (عبد الله بن أريقط) النصراني .

ولما انهزم الروم أمام الفرس تألم المسلمون كثيرا، لأن الروم كانوا أهل كتاب، فنزل القرآن يطمئنهم ويسري عنهم . قال تعالى: " الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [3]

وفي المدينة المنورة يبرم الرسول ﷺ عهودا مع اليهود والنصارى . ومن هذه العهود عهده مع نصارى نجران، فبعد استقبالهم في مسجده فرش لهم عباءته، وسمح لهم بالصلاة في مسجده، ثم حاورهم، ولم يكرهم على الدخول في الإسلام. بل أبرم معهم عهد أمان[4]، وأبرم عهدا مع نصارى (ديرسانت كاترين)، يؤمنهم على عقائدهم ويكفل الحرية الكاملة في العبادة، كما عاهد أهل حمير على أنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له مالهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها) [5].

---

[1] "فكرة التعايش والانفتاح على الآخر " د . محمد مورو، مجلة التواصل، ع :16 شتاء :2007-2008، ص:74

[2] ، ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق محمد فهمي السرجاني ،المكتبة التوفية، القاهرة، ط : 1 ،1997، ج :2، ص : 161

[3] الروم : 1-5

[4] *وصيغة العهد (ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم، وأموالهم وغنائمهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.) البداية والنهاية، ابن كثير، مج :5، ص:55

[5] ابن هشام، السيرة النبوية، مج :4، ص :231: 232.

ومن الصور المجلية للتسامح الديني مع الآخر، ما حدث في غزوة خيبر إذا كان من بين مغانم المسلمين صحائف متعددة من التوراة، ولما جاء اليهود يطلبونها، أمر الرسول ﷺ بدفعها إليهم، ومن قبل سمح لليهود .... بحمل صحفهم معهم بعد جلائهم[1].

يقول "إسرائيل ولفنسون" معلقا على هذه الحادثة: (يدل هذا على ما كان لهذه الصحف في نفس الرسول من المكانة العالية، مما جعل اليهود يشيرون إلى النبي بالبنان، ويحفظون له هذه اليد حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة، [رغم علمه اليقيني أن معظم تلك الصحف محرفة]، ويذكرون إزاء ذلك ما فعله الرومان حيث تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنة 70م إذ أحرقوا الكتب المقدسة، وداسوها بأرجلهم، وما فعله المتعصبون من النصارى في حروب اليهود في الأندلس، حيث أحرقوا أيضا صحف التوراة، هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين رسول الإسلام) [2] وكذا فعلت محاكم التفتيش بعد سقوط الأندلس، إذ تم حرق أكثر من سبعين ألف كتاب.

وقد كان رسول الله ﷺ يحاور ويجادل أهل الكتاب، ويخالطهم في معاملاتهم، إذ كان يحضر ولائمهم، ويشيع جنائزهم، ويعود مرضاهم، ويتصدق على فقرائهم، ويقترض منهم حتى توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، وكان يفعل ذلك إرشادا وتعليما للمسلمين [3] (وقد كان في وسعه أن يستقرض من أصحابه و ما كانوا ليضيقوا عليه بشيء ولكنه أراد أن يعلم أمته) [4] وقد قبل الرسول ﷺ الهدايا من غير المسلمين، وتصدق عليهم، واستأجرهم وصاهرهم واستعان بهم في سلمه وحربه.

ومن أبرز التشريعات الإسلامية التي ظهر فيها، الاهتمام والاحترام البالغ لأهل الكتاب وتشريعاتهم؛ ومنها استقبال بيت المقدس في الصلاة ، حيث ظل الرسول ﷺ وأصحابه يتجهون إلى بيت المقدس في صلاتهم لمدة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وهي قبلة اليهود والأنبياء السابقين [5]

ومن العبادات اليهودية التي أقرها الإسلام؛ صوم يوم عاشوراء، إذ لما وجد الرسول ﷺ اليهود يصومون يوم عاشوراء سألهم "ما هذا؟ قالوا هذا يوم صالح نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال : فأنا أحق بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه "[6] إننا نحافظ على هذه السنة منذ أزيد عن أربعة عشر قرنا، إذ تعود بنا الذكريات السارة، إلى نجاة الذين استضعفوا في الأرض من بني إسرائيل، وخلاصهم من بطش فرعون. نسعد ونفرح ونصوم للحدث السعيد، نجاة المستضعفين من بطش فرعون لأ.(غيرت العبارة)

أما الحج الذي يعتبر ركنا من أركان الإسلام، فمعظم شعائره ذكريات هادية في حياة إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام–وهاجر، تقوي الرغبة في حمل الرسالة، ونصرة الدين، فمكة، والكعبة، والحجر الأسود، والصفا والمروة، ورمي الجمرات...كلها ذكريات

---

[1] شوقي أبو خليل، تسامح الإسلام وتعصب خصومة، ص :13، 14

[2] المرجع نفسه ، ص :13، 14

[3] المرجع نفسه ،14

[4] يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية والحل الإسلامي، مؤسسة الرسالة ، ط1 : 2000، ص:36

[5] البخاري، كتاب أبواب القبلة، باب التوجه نحو القبلة حيث كانت .

[6] البخاري، كتاب الصوم، باب صيام عاشوراء

لإبراهيم، وأهل بيته، إنها ليست مجرد ذكريات نفسية عابرة، وإنما هي فرائض وسنن لا يكتمل الحج إلا بها، أليس في معتقد اليهود أن إبراهيم عليه السلام هو جدهم الأول؟ بل في الإسلام شعيرة سنوية، هي واحدة من آكد السنن الخمس، ألا وهي عيد الأضحى، الذي يعتبر إحياء لذكرى، الطاعة المطلقة لله، وتنفيذا لأوامره، وتضحية وفداء لإسماعيل، قال تعالى : " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) "[1] هل لأهل الكتاب مثل هذا العيد ؟ وهل يحتفون به مثل ما نحتفي به نحن؟ هل يقرأون هذه القصة ويحفظونها مثل ما يحفظها أبناء المسلمين؟

أي دين هذا الذي تعتبر فيه شرائع أهل الكتاب فرائض وسننا مؤكدة؟ إنها الإنسانية في أزهى صورهما، والعالمية الإسلامية في أبرز تجلياتها، والتسامح في أرقى كمالاته.

المبحث الثالث: التسامح الديني مع أهل الكتاب في سيرة السلف الصالح:

وعلى نهج نبينا الكريم ﷺ سار الخلفاء والأمراء وقواد الجيش وسائر السلف الصالح – عليهم الرضوان–

فقد رأى عمر – رضي الله عنه – شيخا ضريرا يتسول فقال له: "من أي أهل الكتاب؟ فقال: يهودي، قال: ما ألجأك إلى ما أرى؟ فقال: الجزية، والحاجة، والسن، فأعطاه من ماله ثم قال لخازن بيت مال المسلمين : انظر هذا وضرباءه واجعل لهم نصيبا من بيت مال المسلمين، وتلا قوله تعالى: " إنما الصدقات للفقراء والمساكين ... [2] وأسقط عنهم الجزية [3]، نعم أسقط عنهم الجزية، هذه الجزية التي كثر حولها اللغط، وأثيرت حولها الشبهات، هي في الحقيقة لا تساوي ثمن قهوة أو شاي في قهوة شعبية، حيث يدفع أهل الذمة في العام 48 درهما (جنيهان أو ثلاث جنيهات) بالنسبة إلى الأغنياء، و24 درهما على متوسطي الحال، و12 درهما على العمال والصناع ..يعفى منها الفقير ويعطى من بيت مال المسلمين، ويعفى منها النساء، والأطفال، وهنا نتساءل هل ثمن قهوة في العام يكفل لصاحبه الحماية من من الغزاة والمعتدين، إن هذا المبلغ لا يساوي ثمن كبسولة رصاصة واحدة، بل حتى مفرقعة صبيانية، فكيف بتمويل حروب تخاض لحمايتهم، كما يحمى المسلم تماما، ومن هنا رأينا كيف رفض ابن تيمية تسلم أسرى المسلمين من التتار دون أسرى أهل الذمة، وظل مصرا على ذلك حتى تسلم الجميع، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

ومر عمر ذات يوم في أرض الشام بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات، وأن يجري عليهم القوت بانتظام [4]

"حذفت العبارة السابقة" لقد استقدم عمر رضي الله عنه والي مصر عمرو ابن العاص وابنه محمد ا ، وطلب من الفتى القبطي الذي جلده ابن الوالي أن يقتص منه، وهو يقول له :" اجلد ابن الأكرمين" "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا". لقد صارت هذه العبارة شعارا لمنظمات حقوق الإنسان العالمية .

---

[1] الصافات : 103 . 107

[2] التوبة: 60

[3] شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، دمشق . سورية، (د ط) 1992 ص: 146

[4] المرجع نفسه، ص:1

ولما فتحت فلسطين أبرم عمر – رضي الله عنه –معاهدة مع أهلها، جاء فيها" هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ...إنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها .. ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن في إيليا معهم أحد من اليهود"[1].

ولما دخل وقت الصلاة صلى عمر –رضي الله عنه–خارج كنيسة القيامة، حيث بني مسجد عمر بجوار برج الكنيسة، وقال للبطريك لو صليت داخل الكنيسة خفت أن يقول المسلمون من بعدي: هذا مصلى عمر، وأن يحاولوا إقامة مسجد في هذا المكان[2].

ويقول خالد بن الوليد– رضي الله عنه– : " أي شيخ عجز عن العمل أو أصابته آفة .. أو كان غنيا فافتقر، فصار أهل دينه يتصدقون عليه: طرحت جزيته إن كان ذميا، وطرحت زكاته إن كان مسلما، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله" [3]

أما ما حدث في بلاد الشام وبالتحديد في حمص؛ فشيء يفوق التصور، ويشبه الخيال، هل سمع التاريخ يوما أن بلدا فتحت أراضيه يبكي أهله ويظهرون الحسرة بعد انسحاب الفاتحين ويطالبون بإلحاح ببقائهم معهم في بلدهم؟ لقد قدم أهل حمص إلى أبي عبيدة بن الجراح وهم يبكون، وجيش المسلمين يهم بالانسحاب، وقالوا له: " يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا "[4]

ولقد تكرر هذا الطلب من أهل سمرقند، إذ طلبوا من جيش المسلمين بقيادة قتيبة بن مسلم ألا يبرح سمرقند، لما رأوا في المسلمين من النبل والسماحة والوفاء، رغم أن قتيبة بن مسلم . رضي الله عنه . لجأ إلى شيء من الحيلة أثناء فتحه لسمرقند، فلم ينبذ إليهم عهدهم، وفاجأهم بالفتح [5]

وعلى هذا المنوال، استقبل أقباط مصر عمرو بن العاص الفاتح بالحفاوة والترحاب.

أبعد هذا يأتي من يقول: إن الإسلام دين عنف وانتشر بالسيف؟

لقد عاش اليهود والنصارى من أمد بعيد في وسط المسلمين، ينعمون بالمعاملة الكريمة... تؤكل ذبائحهم ، وتنكح نساؤهم وتمضى عقودهم، بل كان منهم الأمراء والوزراء والحرفيون .فقد استوزر المعز لدين الله " عيسى بن نسطور النصراني" واستناب بالشام " مينشة" اليهودي، واستوزر الحافظ لدين الله " بهرام" المسيحي الأرميني الذي كان يلقب بتاج الدولة .واستوزر الخليفة المنصور أبو علي الملقب بالآمر" أبا نجاح" النصراني وكان منهم الكثيرون الذين يعملون في الدواوين، إذ قلما يخلو منهم ديوان.

وكان ابن أثال النصراني، الطبيب الخاص لخليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان، وكان سرجون كاتبه .

وقد بلغ (أثناسيوس النصراني) رئاسة دواوين الدولة بعد تعيينه في مناصب الدولة من قبل مروان بن الحكم [1] ولقد أوصلته شهرته أن وكل إليه عبد الملك بن مروان تعليم أخيه الصغير عبد العزيز، الذي أصبح فيما بعد واليا على مصر.

---

[1] محمد الغزالي ، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، ص: 44

[2] شوقي أبو خليل، تسامح الإسلام وتعصب خصومه، ص :17

[3] أحمد محمد جمال، مفتريات على الإسلام مكتبة رحاب –الجزائر، ط: 5، 1987، ص: 192

[4] شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، ص: 71

[5] نفس المرجع ، ص 63. 65

وكان (جرجيس بن بختشيوع) النصراني مقربا من الخليفة أبي جعفر المنصور.

وكان (سلمويه بن بنان) النصراني طبيب المعتصم بالله، ولما مات جزع عليه جزعا شديدا.. وكان بختيشوع بن جبرائيل طبيب المتوكل وصاحب الحظوة والثراء[2]...

واستوزر المعز " يعقوب بن كلس اليهودي "[3]

لقد قامت الأدلة من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح على جواز الاستعانة بغير المسلمين على ما فيه منفعة، واستعانة الخلفاء من بني أمية وبني العباس بأرباب الفنون والعلوم في الملل المختلفة مما لا يمكن لصبي يعرف شيئا من تاريخ الأمة إنكاره، وقد كانت هذه الاستعانة على أعين الأئمة والعلماء والفقهاء والمحدثين بدون نكير [4]

ومن هنا كان رد عمر بن عبد العزيز الحسن البصري على حاسما، حينما كتب إليه مستفتيا، ما بال الخلفاء الراشدين تركوا أهل الذمة وماهم عليه من نكاح المحارم، واقتناء الخمور والخنازير؟ فأجابه الحسن البصري: غنما بذلوا الجزية ليتركوا وما يعتقدون، وإنما أنت متبع لا مبتدع، والسلام [5]

إن هذه العبارة تعتبر منهج حياة بأكملها، ماذا لو طبق أبناء الصحوة الإسلامية هذا الشعار في كل معاملاتهم؟ (إنما أنت متبع لا مبتدع)

وإذا أجملنا النظرة في السابق واللاحق يتبين لنا أنه لا يوجد منصب هام في الدولة إلا وتولاه أهل الكتاب. ومن المسيحيين على سبيل الخصوص ولم يبق لهم إلا منصب – خليفة المسلمين-!!أبعد كل هذه الحقوق، التي لا يحلم بها بشر في ظل دولة أجنبية يتهم المسلمون بالتعصب الديني، وانتهاك حقوق الإنسان، ويتهم نبينا في وضح النهار بالإرهاب والتطرف، ويرفع ضدهم شعار حماية الأقليات؟

حذفت العبارة

إن أهل الذمة نالوا من الحقوق ما ناله المواطن المسلم وزيادة في بعض الأحيان، بل أحيانا يحظون بمعاملة خاصة، تحوطا في الأخذ بتوصية الرسول، وسنة الخلفاء والسلف الصالح، إلى درجة أن الدردير علامة المالكية قال: " و يا ليت المسلمين عندهم كمعشار أهل الذمة، وترى المسلمين كثيرا ما يقولون : ليت الأمراء يضربون علينا الجزية، ويتركونا بعد ذلك كما تركوهم " [6]

إن تسامح الإسلام مع أهل الذمة دفع كثيرا من النصارى . خاصة . إلى الإشادة والقبول بتطبيق الشريعة في بلدانهم، ومن أبرز هؤلاء الزعيم السوري الشهير " فارس خوري " الذي شغل مركز رئيس الوزارة، ومنصب مندوب سوريا في الأمم المتحدة. يقول: "

---

[1] وقد كان ذا جاه وثراء، حتى ملك 4آلاف عبد، وأربعمائة حانوت، وكثيرا من الدور والذهب والفضة، استطاع بها أن يبني كنيسة في الرها

[2] – مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:2، 2005 ، ص : 67-68

[3] أبحاث ووقائع المؤتمر السادس عشر للمجلس للشؤون الإسلامية القاهرة، التسامح في الحضارة الإسلامية، من 1 .4 /5 / 2004، ص : 18

[4] محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، ط :1، 1993، ج : 1 : ص: 843

[5] شوقي أبوخليل ، تسامح الإسلام وتعصب خصومه ، ص : 22

[6] يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية والحل الإسلامي ، ص: 52

أنا مسيحي ولكنني أجاهر بصراحة بما أن الدول العربية ..بأكثريتها الساحقة مسلمة، فليس هناك ما يمنع من تطبيق المبادئ الإسلامية في السياسة والحكم والاجتماع " [1]

ويقول الأب (شنودة) زعيم (أقباط)مصر : " إن الأقباط في ظل حكم الشريعة، يكونون أسعد حالا وأكثر أمنا، ولقد كانوا كذلك في الماضي، حينما كان حكم الشريعة هو السائد .. نحن نتوق إلى أن نعيش في ظل (لهم مالنا وعليهم ما علينا) ..ونحن ليس عندنا، ما في الإسلام من قوانين مفصلة، فكيف نرضى بالقوانين المجلوبة، ولا نرضى بقوانين الإسلام " [2]

إن تسامح الإسلام، ونبل الفاتحين هو الذي دفع كثيرا من الغربيين إلى الإشادة بعظمة الإسلام، ومن هؤلاء الذين سحرهم إسلام الشرق الكاتب الفرنسي (غوستاف لوبون) " صاحب كتاب (حضارة العرب) الذي أشاد فيه بفضل الإسلام على الحضارة الغربية، ومن بين ما جاء فيه عن التسامح "وكان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم، ولو فعلوا هذا لتألبت عليهم جميع الأمم التي كانت غير خاضعة لهم بعد، ولأصابهم ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا بلاد سورية مؤخرا، ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون الذ ين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة، أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا، فعاملوا، كما رأينا، أهل سورية ومصر وإسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة، في الغالب، إذ قيست بما كانوا يدفعونه سابقا، في مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينا مثل دينهم " [3] إن أمثال (غوستاف لوبون) كثيرون، وشهاداتهم في هذا الشأن نيرة ساطعة، وهي من باب " وشهد شاهد من أهلها " [4]

هذا هو ديننا السمح الذي احتوى الكل بأبعاده الإنسانية الضاربة في عمق النفس البشرية طولا وعرضا وهذا هو تسامحه الجلي، الذي لا خفاء فيه ،ولاموارية (استبدلها بلفظ آخر فالغبش ظلمة اخر الليل واللفظة لا تخدمك لان المقال ديني وليس أدبيّ) فيه، ظاهر بلا خفاء.

إنه دين " إنّ ربكم واحد، وأباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"[5]، وحضارتنا هي الحضارة الإنسانية الوحيدة التي تصلح لقيادة المجتمع الإنساني إلى النور. يقول الدكتور مصطفى السباعي: "ألا ترى إلى هذه الحضارة ما أروعها وأسمى إنسانيتها؟ لقد كان الناس جميعا حتى المتحضرون في القرن العشرين يرون السواد منقصة، وكانوا لا يرون الأسود أهلا لأن يكون في عداد البيض، فكيف يتقدمهم ويقودهم ويفضلهم في الرأي والعلم؟ فجاء ت حضارتنا تحطم هذه المقاييس،

---

[1] المرجع السابق، ص: 58

[2] المرجع السابق، ص 68.69

[3] غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012، ص: 605

[4] ينظر أمثال هذه الشهادات الحية في : . زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الجيل بيروت، ط8، 1993، ص 353 . 399 . محمد عمارة، والإسلام في عيون غربية، بين افتراء الجهلاء ..وإنصاف العلماء، دارالشروق، ط: 3 / 2008 ص 73 . 319 . جون ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد . صلى الله عليه وسلم . والقرآن، ترجمة، صالح صابر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط 1 / 2012، ص 149 . 211

[5] صحيح ابن حبان، كتاب إخباره –صلى الله عليه وسلم– عن مناقب الصحابة (7491)

وتسفه هذه الآراء، وتقدم الأسود على الأبيض حينما يقدمه علمه ورأيه...وليس عبادة بن الصمت إلا واحدا من هؤلاء السود الذين رفعتهم حضارتنا إلى مرتبة القيادة والزعامة "[1]

لقد قلبنا النظر في شتى الحضارات، بحثا عن التسامح مع أصحاب الديانات والحضارات الأخرى، غير أننا لم نجد سوى عنصرية، محاطة بالجماجم والأشلاء المركومة، حيثما ولينا وجوهنا تزكمنا رائحة الموت ، من هنا وهناك، إبادة وسلب ونهب، فهذه مصارع الزنوج، سببها سواد بشرتهم، ورقهم الممتد من لعنة نوح لحفيدة كنعان إلى اليوم[2]، وتلك مصارع الهنود الحمر، و من حولهم بقايا حضارة الإينكا، والمايا، والأزتيك، والأنتيل، إنها رفات وجماجم عشرات الملايين، كان جرمهم الأكبر أنهم خارج (أنا) الرجل الأبيض، وهاتيك بقايا مسالخ ومدافن ملايين المسلمين من تركستان إلى طنجة. عبر أحقاب تاريخية داكنة، أدمتها محاكم التفتيش، والحروب العنصرية، وجرائم البلشفية والشيوعية الحمراء، التي تحتكم إلى اللون والدم والبشرة، والاعتقاد المتعصب .

إن المعاملة الحقه لا وجود لها إلا في الإسلام، ذي المصدر الإلهي، الذي يعتبر الناس جميعا عيال الله وعبيده، يقول الأستاذ مصطفى السباعي: "ليس هنالك من يستطيع القيام بالدور الحضاري المرتقب إلا أمة واحدة هي أمتنا، ولن يستطيع حمل اللواء لحضارة الغد غيرنا "[3]

لقد جاءت الحضارة الغربية لتسعد الجنس الأبيض، وجاءت الحضارة الآسيوية لتسعد الجنس الأصفر، وجاءت الحضارة الإسلامية لتسعد الجنس البشري طرا، قال تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "[4] وقال: " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " [5] وقال: " تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا " [6] وقال : " إن هو إلا ذكر للعالمين " [7]

الخاتمة

من خلال ما تقدم ؛ نخلص إلى جملة من النتائج :

. النموذج الحضاري الوحيد، المتسامح مع الآخر، هو النموذج الحضاري الإسلامي.

. اعتماد الإسلام على مبدأ لا إكراه في الدين.

([1])مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط:2 ، 2005 ص:56

[2] فمثلاً نجد صورة الأفريقي الزنجي مستمدة من الكتاب المقدس، إذ وردت فيه أسطورة مفادها: أن نوحاً – عليه السلام – سكر يوماً ثم تعرى ونام في خبائه فرآه ابنه الصغير (حام أبو كنعان) وهو على تلك الحال، فلما استيقظ وعلم أن ابنه قد رآه عارياً دعا عليه ولعن نسله: قال: (ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته، وقال مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث فسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم)!! هكذا يولد الناس عبيداً أرقاء ملعونين منذ آلاف السنين!! ومن هذا وذاك نسجت أقوال اختلطت فيها الأساطير والحقائق، والعقائد بالإيديولوجيا. فمما اختلقه النظريات العنصرية ؛ أن الله خلق الناس سوداً كلهم، وأتاح لهم الفرصة كي يتطهروا فاغتسل فريق منهم فابيضَّ، أما الباقون فلم ينظفوا إلا أكفهم. فبقوا سوداً إلا أكفهم!!

وأسطورة أخرى مفادها. أن الله رأف بحال ثلاثة زنوج يبكون، فأراد أن يذهب حزنهم، فسمح لهم أن يغتسلوا ليصيروا بيضاً. فلم يفعل ذلك إلا واحد، فابيض فتملكت الغيرة أحد أخويه، ولكن بعد نفاذ الماء، فمسح بدنه بالتربة الحمراء فصار أحمر، أما الثالث فلم يتمكن إلا من غسل راحتي قدميه ويديه ، فأصبحت بيضاء دون غيرها من أجزاء البدن الأسود(التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، عبدالعزيز الكحلوت، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط: 3، ص: 58)

([3]) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:2، 2005 ،ص:18

[4] الأنبياء : 107

[5] سبأ : 28

[6] الفرقان : 1

[7] ص : 87

. القرآن الكريم دعوة عالمية إلى التسامح الديني، وتتجلى مظاهر التسامح الديني في القرآن من خلال العناصر الآتية:

ـالدعوة إلى جدال أهل لكتاب بالتي هي أحسن.

. أقرب الناس مودة للمسلمين؛ الذين قالوا إنا نصارى.

. بر المسالمين من أهل الكتاب، والإحسان إليهم.

. دعوة أهل الكتاب بلين، على سبيل التذكير، ومنع إكراههم على الإسلام.

حتى وإن كانوا أبناء من الصلب.

ـــ اقرار القرآن بأن أهل الكتاب ليسوا سواء ، فمنهم طائفة تؤمن بالله واليوم الآخر وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتتلوا آيات الله، وتسجد، وتسارع في الخيرات . فهي من الصالحين .

. الدعوة إلى العفو والصفح عن أهل الكتاب.

. إباحة أكل ذبائحهم، وتزوج نسائهم.

. القرآن حافل بقصص أهل الكتاب، وذكر أنبيائهم، وفي القرآن سور كاملة باسم أنبياء أهل الكتاب.

. من مظاهر التسامح الديني في سنة الرسول؛ بالجملة : كان يحاور ويجادل أهل الكتاب، ويخالطهم في معاملاتهم، إذ كان يحضر ولائمهم، ويشيع جنائزهم، ويعود مرضاهم، ويتصدق على فقرائهم، ويقترض منهم حتى توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، وقد قبل الرسول ﷺ الهدايا من غير المسلمين، وتصدق عليهم، واستأجرهم وصاهرهم، واستعان بهم في سلمه وحربه ولم يخش منهم شرا ولا كيدا، وعلى نهجه سار السلف الصالح، فضربوا أروع الأمثلة، في الحرب والسلم .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- صحيح ابن حبان
- ابن كثير، البداية والنهاية، دار بن الهيثم، القاهرة. مصر، ط : 1، 2006
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق محمد فهمي السرجاني،المكتبة التوفية، القاهرة، ط : 1،1997
- أحمد حامد، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء،
- أحمد محمد جمال، مفتريات على الإسلام، مكتبة رحاب –الجزائر، ط: 5، 1987،
- التسامح في الحضارة الإسلامية، أبحاث ووقائع المؤتمر السادس عشر للمجلس للشؤون الإسلامية، القاهرة، من 1 .4 /5 / 2004
- زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الجيل بيروت، ط8 / 1993
- شوقي أبو خليل، أضواء على موقف المستشرقين والمبشرين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط2، 1999
- شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، دمشق. سورية، (ب ط) 1992
- شوقي أبو خليل، تسامح الإسلام وتعصب خصومه، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبا، ط :2، 1992 .
- عبد الوهاب طويلة ،توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي، قدم له وهذبه ورتبه وعلق عليه عبد الوهاب طويلة
- علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، دار الكتاب العربي، دمشق، ط :1 / 2007،
- غوستاف لوبون، حضارة العرب،نقله إلى العربية عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012،
- محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دار الجيل، بيروت، ط 2، 19872
- محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1، 200
- محمد عبده ،الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، ط :1، 1993، ج : 1
- محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، دار الشروق، ط: 3 / 2008
- مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:2، 2005
- يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية والحل الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط1 : 2000

- مجلة التواصل، ع :16 شتاء :2007-2008

إعادة ترتيب المصادر والمراجع ترتيبا ألف بائيا، يعني تبدأ بمن اسمه بالألف ثم الباء ثم التاء، ثم الثاء
اسم المؤلف: عنوان الكتاب، دار النشر، البلد، الطبعة، السنة، الصفحة